SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.22 NO. 3 2023
DOI: 10.51984/JOHS.V22I3.2787

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

التواصل التربوي والتحصيل الدراسي

مريم بعزيز

جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، العنوان : تجزئة الوفاء 4 رقم 696_ طريق صفرو فاس 30022 المغرب

الملخص

تروم هذه الورقة البحثية تحديد أهمية التواصل التربوي في عملية التحصيل الدراسي لدوره في مجال التربية والتعليم، فالتواصل هو البوصلة التي ستقود المدرس إلى اختيار الاستراتيجية الأنسب لمعالجة وضعية ما، أو السياق الذي يتطلب تدخلا وتوجيها لفك اللبس الذي يصاحب المتعلم في سيرورة تعلمه ويمنعه من التقدم. ولا تقتصر استراتيجية المعالجة على تقديم وضعية تعليمية أقل صعوبة من سابقاتها، أو إعادة الشرح بنفس الطريقة التي كانت سببا في عدم فهم التلميذ، إنما تتطلب أيضا توظيفا لمصطلحات جديدة تكون أكثر دلالة بالنسبة له قريبة من تمثلاته، ومنسجمة مع معجمه اللغوي . ويستمد البحث في موضوع التواصل وعلاقته بعلوم التربية مشروعيته من حرصنا على المساهمة في تحقيق جملة أهداف بعيدة المدى، تسعى إ لى تغيير وضعية المتعلم داخل المؤسسة التعليمية ليصبح طرفا فاعلا في العملية التعليمية ومشاركا فيها، "لأنه لم يعد كافيا أن يتمتع الفرد بكفاءات معرفية، وقدرات ذهنية عالية لكي ينجح في تحقيق التعلمات وحل المشكلات بسهولة وفعالية.

الكلمات المفتاحية:

التواصل التربوي
التحصيل الدراسي
المدرس الفعال
التلميذ
استراتيجية التحصيل
البنيات المعرفية
التمثلات الاجتماعية

Pedagogical communication and academic achievement

Meriem Baaziz

Arabic language, faculty of letters and human siences fes-sais, mohamed ben abdullah university, morocco

A B S T R A C T

This research paper intends to investigate the impact of pedagogical communication on academic achievement. In the fields of Education and Didactics, communication is the compass that leads the teacher to choose the most appropriate strategies to assess various situations that might hinder learners' understanding and thus their progress in the learning process.

Not only are these assessment strategies not limited to presenting relatively less complex situation problems, but they also require the employment of new terms that are more meaningful to learners and are in the range of their linguistic ability.

Researching pedagogical communication derives its legitimacy from our keenness to contribute to achieving a number of long-term goals, which seek to change the position of the learner within the educational institution to become an active participant in the educational process because it is no longer sufficient for the individual to have high cognitive competencies and mental abilities in order to succeed in learning and solving problems easily and effectively.

Keywords:

Communication
Acadimec achievement
Effective teacher
The student
Achivement strategy
Cognitive structures
Social representations

المقدمة

افتتن أغلب الباحثين بماهية التواصل، ومكوناته، وسيروراته، وأهدافه، منذ القدم؛ إنه مجال تتجاذبه حقول معرفية متنوعة مثل؛ علم العلامات وعلم الاجتماع واللسانيات وعلوم التربية، والفلسفة... بل إن الظواهر الإنسانية لا يمكن أن تكون خارج دائرة التواصل المباشر، أو غير المباشر، والوجود الإنساني في كليته محدد بسيرورة التواصل.

وإذا كنا لا نتصور تحصيلا معرفيا دون تواصل، فإنه من غير الممكن إغفال دوره باعتباره أداة فاعلة ومؤثرة في عملية تحصيل المعارف،

*Corresponding author:
E-mail addresses: meriem.baaziz82@gmail.com

Article History : Received 22 July 2023 - Received in revised form 16 September 2023 - Accepted 02 October 2023

واكتساب المهارات، بالمؤسسة التعليمية. فالعلاقة بين التحصيل والتواصل علاقة ترابطية، فمكتسب المعارف لا يمكن أن ينمي قدراته الفكرية ومهاراته إلا بالقدر الذي يتواصل فيه مع مصادر المعرفة بشكل منهجي، استنادا إلى آليات وتقنيات تمكن من نقل الخبرات والمعارف والتعلمات.

والمؤسسة التعليمية "أكبر حقل للتواصل التربوي والاجتماعي، لما توفره من تبادل للمعارف وتنمية للعلاقات الوجدانية وتمتين للعلاقات التشاركية والتفاعلية سواء على مستوى الإدارة التربوية أم على مستوى الفصل الدراسي".[1]

1-هدف الورقة البحثية

تهدف هذه الدراسة كذلك إلى المساهمة في خلق تراكم معرفي في حقل التربية باعتبار أن مشكلات التربية ببلادنا ليست فقط مشكلات تربوية بحتة، بل هي مشكلات نفسية، واجتماعية، تتعلق أساسا بأزمة حوافز التحصيل، وأزمة التواصل في حقل التكوين المدرسي مما دفعنا إلى رصد طبيعة العلاقة بين التواصل والتحصيل الدراسي، عسى أن نحقق فهما علميا أعمق للطرق والأساليب التي ترقى بتعليمنا في الاتجاه التنموي الحقيقي، خاصة و أن التواصل يمكن المدرس من تحديد حاجيات التلاميذ ومعرفة الفوارق التي تفصل بينهم، من أجل تحليل ديداكتيكي أكثر نجاعة، وتقديم وضعيات تعليمية ملائمة لمستوى المتعلمين.

2-الإطار المعرفي وإشكالية الدراسة

والحديث عن التواصل في مجال اكتساب المعارف، مؤطر بمقاربة سيكولوجية ومعرفية ترتكز على سيرورة إنتاج الرسائل وكيفية تأويلها، وتأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الفردية، وتركز على ردود أفعال متلقي الرسالة التي تختلف بحسب معارفه السابقة حول الموضوع المتواصل بشأنه، والمدة الزمنية التي استغرقها الاستماع، وجاهزيته الذهنية وقت الاستماع...، ثم العوامل الثقافية المرتبطة بالمعرفة المشتركة بين فئة معينة من الناس حول العالم وانتمائهم لنفس المجتمع أو المنطقة التي يمكنها أن تؤثر في الفرد.

ومن تم فإن النظام المعرفي يقتضي بصفة أساسية مكونين أساسيين، هما السيرورات المعرفية، وبنيات المعرفة؛ فالسيرورات المعرفية هي عمليات مرتبطة بمعالجة المعلومات؛ كالانتباه والفهم والتأويل والتخزين في الذاكرة، واسترجاع المعرفة في اللحظة الضرورية ثم الانتقاء من ضمن حلول مختلفة الخ، أما بنيات المعرفة فهي تنتظم حول المعلومات التي تهم العالم، إنهما مكونان يشتغلان بشكل متزامن ولا يمكن الفصل بينهما لارتباطهما الوثيق؛ فبنيات المعرفة توجه الانتباه إلى حدث جديد وتصلح كأساس بالنسبة للتخزين في الذاكرة، وبالمثل تشكل السيرورات المعرفية وسائل للحصول على المعرفة وتوضيحها ثم إدماجها. لأجل ذلك فالمعرفة بهاتين السيرورتين المتكاملتين ضرورية داخل مجال البحث في التواصل البيداغوجي الصفي، على كافة المستويات، ولذلك فما علاقتهما بإنتاج الإرسالية وتأويلها؟ وما وظيفتهما داخل التواصل اللفظي وغير اللفظي؟ وما الفرق بين تواصل الجماعة وتواصل التنظيم؟ هذه الأسئلة وغيرها سنحاول أن نجد لها إجابة في هذه الورقة البحثية.

3- مفهوم التواصل التربوي

تعود أولى الأبحاث في مجال التواصل إلى العقود الأولى من القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1910، مع مدرسة "شيكاغو" التي أولت أهمية للتواصل الاجتماعي في أبحاثها، واتخذته إطارا مرجعيا لدراسة قضايا الهجرة، وقدرة المهاجرين على الاندماج في المجتمع الأمريكي.

ثم توالت بعد ذلك أعمال عدة مع لاصويل Lassuel وشانون Shannon وويفر weaver وغيرهم... وتعددت المقاربات وتباينت الأطروحات التي أغنت المفهوم ليصبح مجالا لتلاقح حقول معرفية مختلفة.

وقد رست هذه الورقة العلمية على اعتبار التواصل اشتراك مع الآخرين في "عملية تبادل الرموز وانتقال المعلومات بين الأنا والآخر، مما يسمح بخلق وحدة انتماء إلى عالم الرموز."[2] وهو "ميكانيزم يخلق العلاقات الإنسانية ويطورها، إنه يستدعي عمليات ذهنية ووسائل إبلاغية، وفق سياق زماني ومحدد مكاني، ويوظف تعابير الوجه، ومميزات الجسم وحركاته ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات... وكل ما تم اكتشافه."[3] إنه يشكل "جوهر العلاقات الإنسانية ومطورها، من خلال الوظائف التي يؤديها والتي نعتبر أهمها الوظيفة المعرفية المتمثلة في نقل الرموز الذهنية وتبليغها زمانا ومكانا بوسائل لغوية وغير لغوية، ووظيفة تأثيرية، دورها تمتين العلاقات الإنسانية وتفعيلها بشكل لفظي أو غير لفظي".[4] والتواصل عنصر أساسي في العمليات الاجتماعية، ومكون لا غنى لأي جماعة عنه وخاصة جماعة الفصل، التي يتقاسم أفرادها أدوارا في إطار علاقات تفاعلية لبلوغ أهداف معينة، فالمدرس يساعد التلاميذ على التحصيل واكتساب معلومات جديدة، وتعديل سلوك معرفي، ويبقى الهدف الذي يتطلع إليه التلاميذ هو التعلم والتكوين.

4- دور التواصل التربوي في التحصيل الدراسي بالمؤسسة التعليمية

ويعتقد البعض أن أزمة التعليم ببلادنا وما خلفته من هدر مدرسي وتدني في الأداء الفكري والتربوي للتلاميذ هي أزمة تواصل بالأساس؛ بين المدرس "مالك المعرفة " الذي يعتبر من خالفه الرأي من تلامذته خارجا عن طاعته ووجب الضرب على يده، ناسيا أو متناسيا أن المؤسسة التعليمية مسؤولة عن تقديم نموذج تواصلي يحتذى به في التواصل الاجتماعي والإنساني، وتكون بذلك مهمة المدرس منذ البداية هي التواصل، "سواء أدرك هذه الحقيقة أو لم يدركها، وعليه يمكن القول إن التدريس الجيد هو تواصل جيد".5

ومهمة المدرس منذ البداية هي التواصل، إذ كيف يمكن لمدرس أن يساعد التلميذ على تجاوز صعوبات التحصيل الدراسي وهو لا يتواصل معه؟

إنه سؤال جوهري يضعنا أمام سلوك خاطئ تكون نتيجته ضياع التواصل الإيجابي، مما يضيع علينا فرصة معرفة شخصية المتعلم، وإدراكاته وتصوراته وتجاوبه النفسي مع مختلف الوضعيات التعليمية. إننا بهذا السلوك "نبعد أنفسنا عن تحقيق الإنسان العالمي العقلاني، المستكمل لوعيه بذاته التاريخية ووعيه بالآخرين، الذين يتقاسمون معه نفس المجال".6لذلك لا ينبغي حسب "ريمون بودن" R.boudon أن "نبعد التفاعل والتواصل عن منطق محدد للسلوك الاجتماعي الواعي الذي يعطي معنى نافعا للتواصل والتفاعل، عكس السلوك العشوائي الذي يكون فيه هذا التواصل والتفاعل غير منظم وفاقد لكل مقصد"7، إذ لا يمكن للتلميذ أن يكتسب معارف معينة إلا في إطار التواصل، والمدرس الناجح يسعى في تنشيط درسه إلى تفعيل العملية التواصلية بين أفراد جماعة الفصل، من خلال استراتيجية تشاركية منفتحة، مبنية على أسئلة متدرجة من البسيط إلى المعقد.

غير أن الشائع في ممارستنا التربوية أن عملية التواصل تتم بين المدرس "ملقن المعرفة" (مرسل)ومتلق (التلميذ)؛ والعلاقة بينهما سكونية،

والتواصل في هذه الوضعية هو تواصل منغلق، وغير تفاعلي ويمكننا أن نمثل لذلك، بمثال؛ إملاء المقرر الدراسي، فالإملاء – في رأينا- إجراء بيداغوجي منغلق، لا يسمح بخلق تواصل تفاعلي منفتح، لأنه يستدعي هدوء التلاميذ حتى يتمكنوا من سماع ما يمليه المدرس، دون أن يفسح المجال لاستنطاق ما يكتبون وتمحيصه، وإبداء الرأي حوله، وذلك في إطار "إشراكهم وتدريبهم على صياغة أسئلة لإغناء الدرس، وأخذه هما معرفيا قابلا للمناقشة النقدية البناءة".8

ونحن بحاجة لتواصل تشاركي دينامي يسمح للتلميذ تعلم جملة من المهارات والخبرات، كالجرأة في أخذ الكلمة، وضبط الأسلوب، واكتساب منهجية الاستدلال، لأننا لا نحرص في العملية التعليمية على تقديم المعارف كمعلومات قابلة للتخزين فقط، وإنما نقدمها كسياقات معرفية، وآليات للتفكير ومناهج لإنتاج التصورات والأفكار... وهذا يعني أن عقل التلميذ ينمو معرفيا وفكريا في خضم تواصله المعرفي والتربوي داخل الفصل الدراسي.

ونعتقد في هذا الإطار أن تطور المعارف ونموها داخل الفصل يستدعي وجود فضاء سليم، يتيح أكبر قدر من التواصل بين العقول والذوات المنتجة للمعرفة، لذلك فالتواصل أهم إشكالية نواجهها في الحياة المدرسية، لأن نجاح الفرد أو فشله مرتبط بدرجة تواصله، ومن تم فإنه من اللازم الاستفادة من فاعلية التواصل لبناء علاقات تربوية وبيداغوجية في مجال التحصيل واكتساب المعارف.

5- التواصل وعلاقته بالتمثلات الاجتماعية في مجال اكتساب المعارف بالمؤسسة التعليمية

إن الأفراد يسعون جاهدين باستمرار إلى وسيلة تفهم بيئتهم بدلالة خبرتهم السابقة ووضعهم الحالي، في محاولة لخلق نظام في أذهانهم للفوضى وحل المتنافرات، ومواءمة الوقائع الخارجية مع خبراتهم السابقة، والوسائل التي يتم بموجبها معقدة ومتعددة الوجوه بدء من الانخراط في التفكير الشخصي، ومرورا بالبحث عن معلومات جديدة وانتهاء باختبار الأفكار عبر الاتصال الاجتماعي بالآخرين، وتحل الإشكالات وترتب المتنافرات وتصنف بفضل استراتيجيات؛ هدفها البحث عن علاقات بين ما كان معروفا وما هو معروف الآن مع تحديد المتشابهات والمختلفات واختبار الفرضيات؛ فالحقيقة دائما تجريدية وديناميكية.

وتعد بيئة التعلم الاجتماعية عند العديد من التربويين حاسمة، إذ لا نختبر الأفكار فقط مع المدرس بل أيضا مع التلاميذ، والزملاء فضلا على أن المعرفة تكتسب أساسا عن طريق العمليات الاجتماعية أو المؤسسات التنشئة الاجتماعية؛ كالمدارس والجامعات...

ومن نتائج نظريات البنية الاجتماعية للمعرفة اعتبار الفرد فريدا، لأن تفاعل الخبرات المختلفة لكل فرد والبحث عن معنى شخصي يسفر عن كون كل شخص مختلفا عن الآخر، إذ النقطة الجوهرية هنا هي أن التعلم يعد أساسا عملية اجتماعية، تتطلب التواصل بين المتعلمين والمعلمين وغيرهم، ولا يمكن أن تحل التقنيات الحديثة محل هذه العملية الاجتماعية بصورة فعالة مما يحتم على المدرس معرفة الفروق الفردية بين تلامذته، ولن يتأتى له ذلك إلا بقدرته على التواصل الفعال.

وتؤثر التمثلات الاجتماعية les représentations sociales في التواصل الذي ينتمي إلى مجال التعليم عموما، فالتواصل لا يرتبط بالوسائط التعليمية (الكتاب أو المقرر الدراسي....) والعدة الديداكتيكية فقط، بل إنه تواصل مركب :Communication composée تتفاعل فيه عناصر عدة سواء تعلق الأمر بالوسائط المادية كقنوات أساسية لإيصال الدروس والمعلومات أو بالنظام الإشاراتي Systémes Signaux حيث كل شيء مؤثر في مجال التواصل التربوي؛ حركات الأستاذ، وطريقة جلوسه، ونوع الأسلوب اللغوي الذي يستعمله، وطبيعة الكلمات والمفردات التي يوظفها، ولحظات الصمت التي تتخلل شروحاته وتدخلاته التوجيهية، وأسلوب مواجهته للسلوكات المخلة بالفضاءالتربوي داخل الفصل الدراسي....

وتكمن أهمية النظام الإشاراتي داخل الفصول الدراسية في مجال التعليم، في كون أن متابعة التلاميذ لدراستهم تتقوى وتزداد بدرجة اهتمامهم بمدرسيهم، لأنهم يمثلون لهم رمزا للتحصيل والاكتساب المعرفي ورمزا للسلوك الحضاري والأخلاقي، ويعتبرونهم مرآة سلوكية ومعرفية وهذا التمثل الاجتماعي الذي يبنيه التلاميذ عن صورة المدرس ومكانته بهذه المؤسسة، وداخل المجتمع، عامل سيكولوجي مؤثر بقوة في مجال تواصلهم االتربوي مع مدرسيهم.

والتمثلات عموما تلعب دورا مؤثرا في التواصل الإنساني، لأننا حين نتواصل، لا نتواصل فقط بالوسائط المادية الأساسية؛ كالرسائل التي تنقل الأخبار مباشرة مثلا، بل نتواصل بتمثلاتنا حول بعضنا البعض، وتمثلاتنا حول الموضوعات نفسها التي نرغب مبادلاتها أو الحوار بشأنها، "إن التواصل الإنساني في مجال اللقاءات المباشرة، أو التخاطب عن بعد (الهاتف...) لا تبنى في اللحظة دون مؤثرات ممهدة وسابقة، بل هي نتاج بناءات ذهنية وسيرورات اجتماعية وثقافية وأنتربولوجية وسيكولوجية وتاريخية" ؛9 معنى ذلك أن التمثلات هي قوى تاريخية دينامية في مجال التواصل الإنساني بصفة عامة، والتواصل والتربوي في مجال التعليم انعكاس للتمثلات والتصورات والإدراكات المسبقة حول مضامين المعارف الملقنة.

6-التواصل واستراتيجيات التعلم

وإننا نهتم بالتواصل في "تعاملنا مع التلميذ، باستدراجه في تعلم التعلم، وتعلم الفهم، والتقويم الذاتي، ولن يتحصل ذلك إلا بتطوير "استراتيجيته التعليمية الخاصة وتكييفها على الدوام مع وضعيات وسياقات تواصلية مختلفة ومتغيرة مع قدرته على وصفها وتحليلها."10بل المفروض في المتعلم أن يفلح كذلك في طريقة توظيف تلك كفاءاته بالشكل الهادف والمفيد."11

ونستند في هذا الإطار على بعض النظريات في مجال السيكولوجيا الحديثة ويتعلق الأمر باستراتيجيات التعلم التي تصنف إلى استراتجيات معرفية وأخرى ميتامعرفية. وفي هذا السياق يعرف « DONSEEREAU» "الاستراتيجية بوصفها مجموعة من المراحل أو الخطوات التي تسهل عملية اكتساب المعارف، ولذلك نجده يميز هو والعديد من الدارسين بين الاستراتيجيات الأولية التي تهدف إلى فهم المعارف وتخزينها واسترجاعها وتوظيفها، ومن ثم اعتبروا هذا النوع من الاستراتيجيات متمركزا حول المعارف المكتسبة، وتنعت بالمعرفية كلما استوجبت تكرار المعلومات وتجميعها واستنباطها واسترجاعها ويعد الإجراء المتمثل في تشكيل صورة ذهنية من قبل المتعلم لتكرار المعلومة واستعادتها، نموذجا لاستراتيجيات معرفية، وتكون ميتا معرفية عندما تساعد على التنظيم والتقويم الذاتي، فضبط الأخطاء وتصحيحها أثناء تخزين المعلومة واستعادتها، يمثل بدوره نموذجا لهذه الاستراتيجيات "12 ونجاحها رهين بنجاح عملية التواصل التربوي الصفي الذي يرتبط هو الآخر "باللغة المتداولة بين المدرس والمتعلم، وقدرة كل واحد منهما على استيعاب الرسالة وتوظيف عبارات

تخدم هدفها ، كي يتحقق الانسجام والتفاعل بين المرسل والمتلقي، لذلك فلا يكفي أن يتمكن المدرس من مهارات التواصل لإنجاح العملية التعليمية بل عليه أن يحسن اختبار الاستراتيجية التواصلية الفعالة حتى يتسنى للتلميذ فرصة التعلم الذاتي و تصحيح الأخطاء التي وقع فيها أثناء تعلمه".13

*** استراتيجية المعالجة وفعالية التواصل**

يعد التواصل عند أغلب الباحثين في مجال التربية والديداكتيك البوصلة التي ستقود المدرس إلى اختيار استراتيجية المعالجة الأنسب للوضعية، أو السياق الذي يتطلب تدخلا وتوجيها لفك اللبس الذي يصاحب المتعلم في سيرورة تعلمه ويمنعه من التقدم. ولا تقتصر استراتيجية المعالجة على تقديم وضعية تعليمية أقل صعوبة من سابقاتها، أو إعادة الشرح بنفس الطريقة التي كانت سببا في عدم فهم التلميذ، إنما تتطلب أيضا توظيفا لمصطلحات جديدة تكون أكثر دلالة بالنسبة للتلميذ قريبة من تمثلاته منسجمة مع معجمه اللغوي.

ويمكن التواصل المدرس من تحديد حاجيات التلاميذ ومعرفة الفوارق التي تفصل بينهم، من أجل تحليل ديداكتيكي أكثر نجاعة، وتقديم وضعيات تعليمية ملائمة لمستوى المتعلمين، لتبني البيداغوجيا الفارقية التي تساعد المدرس على جمع عدد من البيانات وإحصاء مختلف الأخطاء، وترتيب الأسباب التي أدت إلى وقوعها.

ولذا فعلى المدرس أن يجيد استثمار عملية التواصل التربوي، لأنه يساعده على تشخيص الصعوبات التي تعترض سيرورة تعلم التلاميذ، ويحدد الأسباب التي جعلتهم يتعثرون في تكوينهم. "ولعله من المفيد التذكير في هذا السياق بأن تحسين الجودة والرفع من أداء التلاميذ ومشاركتهم يتطلب فهما عميقا لشروط وأسلوب تعلم كل تلميذ، وذلك من شأنه أن يجعل المدرسين قادرين على مساعدة التلاميذ تحسين نتائجهم الدراسية، مما يتطلب إيجاد الوسائل التربوية المناسبة لمقاربات متمركزة حول التلميذ وحاجياته الأساسية وقابليته المتنوعة"14.

وإنه "لابد من اعتماد التواصل التربوي الديمقراطي، من أجل تبني مقاربات متمركزة حول التلميذ؛ إذ لا يمكن أن نساعد المتعلم ونتفهم مواقفه وحاجاته ونحن بعيدين عنه، وإن كنا نتواجد معه في نفس الفصل الدراسي. لابد من إجراء تعديلات على طرق التدريس المعتمدة، وتطوير علاقتنا مع المتعلم من أجل تحفيزه على التعلم، وتقدمه في مساره الدراسي".15

*** الوضعيات الانفعالية وتحقيق التواصل**

يستدعي ربط الاتصال مع الآخر موضوعا مشتركا، أو وضعية يكون الاشتغال عليها جماعيا أو أعمالا تطبيقية يشترك التلاميذ والمدرس في إنجازها، أما إذا اقتصرت الحصة الدراسية على إلقاء المدرس وتبليغ الرسالة (المحتوى الدراسي) دون رد فعل المتعلم، "فلا وجود للتفاعلات وبالتالي تقتصر عملية التواصل على التبليغ وإصدار الأوامر (الأمر الذي نعتبره من معيقات التواصل) بحيث يكون نموذج التعليم متمركزا حول المدرس".16

وعليه فإن "الوضعيات الانفعالية ما هي إلا "نتاج للكفايات المهنية التواصلية التي تمهد لعلاقات تبادل الآراء، والتغذية الراجعة من طرف المتلقي (التلميذ)، ونسج لشبكة من التفاعلات بين التلاميذ فيما بينهم بغية تحقيق عمل مشترك أو إنجاز مهمة تتطلب أدوارا متكاملة ومهارات متعددة.

ومن هذه الوضعيات الانفعالية؛ "الوضعية المشكلة" أو بلفظ أصح "وضعية حل المشكلات" التي تثير حماس المتعلم وفضوله لأنه لا يملك الجواب أو الحل عند الوهلة الأولى، الشيء الذي سيضطره إلى طرح تساؤلات على المدرس وعلى أقرانه كي ينجلي الغموض واللغز اللذين تتضمنهما هذه الوضعية وهذا يعني بالطبع القيام بإجراءات وعمليات تواصل دائمة إلى أن يجد المتعلم الحل عبر سيرورة تعلمه الذاتي حيث؛ يعتمد فيه التلميذ على إمكاناته الخاصة، ومن المفيد أن يعرف المرء أنه لا يمكن أن يعول سوى على إمكاناته الخاصة؛ فعند ذلك فقط، يتعلم كيف يوظفها بكيفية ملائمة، والناس فضلا عن ذلك، ليسوا مجردين من أي ملجأ أو مرجع".

وإن بناء وضعية مشكلة بالمعنى الدقيق مهمة صعبة لكن لا يمكن التخلي عنها عندما يتعلق الأمر بمادة علمية مثل الرياضيات، لكن في "المقاربة بالكفايات ليس ضروريا أن نتشبث بشكل صارم بموضوع الوضعية المشكلة من حيث الدقة المطلوبة لبنائها؛ فالفهم هو أن يواجه التلميذ وضعيات تقوده إلى طرح تساؤلات حول قناعاته وتصوراته المسبقة، لذا يمكن مساءلته من خلال وضعية تمكن من إثارة الشك والتفكير لديه وتؤدي به إلى طرح تساؤلات لكي تصبح المعرفة كفاية تمكنه من تقديم جواب عن تساؤلاته وانشغالاته."17

ونعتبر بناء وضعية – مشكلة من الكفايات المهنية التي يجب أن يتوفر عليها المدرس، هاته الوضعية التي تعتمد على التواصل، وتجعل من المتعلم المحور الذي تتمركز حوله العملية التعلمية، لذا لا يكفي أن يمتلك المدرس مهارات خطابية، وفصاحة لغوية من أجل التواصل والتفاهم مع التلميذ، بل يجب أن يقدم للمتعلم وضعية تعليمية تكوينية يتفاعل معها ويبرهن من خلالها عن إمكاناته المعرفية والتطبيقية، ومهاراته اللغوية التواصلية.

ومن تم فإن نشاط الفرد(التلميذ) هو العنصر الأساسي الذي يحرره من التبعية الفكرية والخضوع اللامشروط لأوامر المدرس المتسلط، كما أن المتعلم يلجأ للتعبير عن أفكاره ومشاعره، تجاه موضوع التعلم، بواسطة نشاطه الذاتي، لذا يبقى تعلم التلميذ واكتسابه للكفايات المنشودة رهينا بحرية تحركه وتعبيره داخل الفصل الدراسي، وبقوة التفاعلات التي تربطه بكل مقومات ومكونات وضعية المجابهة التكوينية (مدرس، تلاميذ، موضوع التعلم، وضعية التعلم...). وإذا غيب المدرس الوضعية المشكلة وأقصاها من حصته الدراسية، واقتصر في تدبير استراتيجية تدريسه على الإلقاء؛ فإنه سيلغي العنصر البشري في تدخلاته البيداغوجية وسيركز على المحتوى الدراسي، ويجعل منه المحور الرئيسي الذي تتمركز حوله عملية التعليم؛ الأمر الذي نعتبره من معيقات التواصل التي تعرقل عملية التعلم.

ولعل نموذج التدريس المتمركز حول المحتوى الدراسي، ليس العنصر الوحيد الذي يعيق عملية التواصل البيداغوجي الصفي؛ بل هناك عناصر أخرى مثل: اكتظاظ الأقسام، وتوظيف ملفوظات كلامية (لغوية) صعبة؛ ولذلك كيف نتجاوز المعيقات التي تحيل دون تحقيق تواصل تربوي سليم؟

7-معيقات التواصل في حجرة الدراسة

إن التواصل الناجح بين المدرس والتلاميذ يستوجب تبادل في حجرة الدراسة طالما أن الرسائل المتبادلة واضحة ولا يكون ذلك إلا إذا كانت حجرة الدراسة خالية من المعيقات التي تحول دون تحقيق التواصل الفعال ومن بينها:

الإطناب: إن النعوت والألفاظ والكلمات "لا يمكن أن يستغني عنها أي مدرس، سواء كان في المرحلة الأولى أو حتى في المرحلة الجامعية،18 فالكلمات هي أساس التواصل والتعلم من خلال الكتب والمواد المطبوعة،

إلا أن فهم وتعلم التلاميذ يقل كلما لجأ المدرس إلى الإسراف في استخدام الكلمات المجردة التي ينتج عن كثرة توظيفها تشتيت انتباه التلاميذ والتقليل من درجة اهتمامهم بالدرس، وفي مثل هذه الظروف والأحوال تكون اللفظية والإغراق فيها عائقا يضعف عملية الاتصال وينقص من جودته في حجرة الدراسة، ومن كفاية التعليم الناتج عنه.

اختلاف الخبرات والتجارب: يرى علماء التربية أن قدرة شخصين (أ و ب)على استخدام نفس الكلمات والوصول إلى معاني مختلفة تمام الاختلاف من شأنها أن تكون أحد المخاطر اللفظية التي يتعرض لها التلاميذ في حجرات الدراسة، وعلى سبيل المثال فقد يقوم المدرس بشرح وتوضيح خبرة من خبراته للتلاميذ مستخدما مجموعة من الألفاظ والكلمات، ويفترض أن كل تلميذ يستمع إليه يفهمها ويفسرها في ضوء خبرات متشابهة لخبراته، ومن هنا يؤكد علماء التربية أن هذا غير صحيح، إذ أن ما يحدث في كثير من الحالات اختلاف التلاميذ عن المدرس كما يختلف بعضهم عن البعض الآخر، من حيث اتساع الخبرة وعمقها وتمثل المدرس ذاك يؤدي إلى الخلط في المعنى والاختلاف في الفهم بالنسبة للكلمات والعبارات التي اعتقد وهو يوظفها أن درجة فهمه للمفاهيم المجردة، هو الفهم نفسه بالنسبة للتلاميذ، وحسب مخروط الخبرة عند إدكار ديل EDGAR DALE19 فإن المدرس كلما صار مجردا للكلمات فإنه من الطبيعي جدا ازدياد تجريد الفكرة، أو الشيء الذي يقوم بشرحه في مادة من مواد التدريس، وصارت الفكرة متباعدة عن ذهن التلميذ (المرسل إليه) وبمعنى آخر "فإن المدرس كلما استخدم ألفاظا بسيطة وقريبة من ذهن التلميذ كلما قرب المعنى الذي يريده، وكلما ازداد بعدها عن خبرات التلاميذ كلما قل التشابه بين المعنى الذي يقصده المدرس، وبين إدراك التلميذ والمعنى الذي يصل إليه."20

شرود الذهن وأحلام اليقظة: إنه من بين معيقات التواصل الفعال في حجرة الدراسة وخاصة في مرحلة الثانوي التأهيلي، ولعل من أهم الأسباب المؤدية لهذا الشرود الذهني عدم جذب الدرس لانتباه التلاميذ. فيتعذر على التلميذ الفهم السليم فيوجه ذهنه إلى اهتماماته الذاتية التي يرغب فيها. إن أحلام اليقظة تحول بين التلميذ وفهم الدرس وتضر بالنشاط التعليمي الذي سبق أن رسمه المدرس أثناء بدايته للدرس، والحقيقة أن أحلام اليقظة ظاهره طبيعية لا مفر منها في حالة استعمال المدرس "ألفاظا غير ذات معنى لا يستجيب إليها التلميذ ويشرد ذهنه متجولا في عالمه الخاص بعيدا عن مدرسه وزملائه."21

8 - المدرس والتواصل الفعال

تختلف وجهات النظر في تحديد خصائص المدرس الفعال، محرك الفعل التربوي وصانع القرار الذي يفهم تلاميذه ويتفهمهم، وتتخذ هذه الخصائص أبعادا يمكن إجمالها في الآتي:

البعد الإنساني

تحتل العلاقة الإنسانية بين المدرس وتلامذته أهمية في الفصل الدراسي، فكلما سادت هذه العلاقة يكون المدرس قادرا على الإبداع في طرق تقديم مادته العلمية، وتزيد رغبة التلاميذ في التعلم، لأنه موضوعي وعادل وحازم ومرن في تعامله مع تلامذته، ويوظف أساليب تربوية نفسية تزيد من دافعيتهم للتعلم، ويحاول دائما أن يجعل مناخ القاعة الدراسية مريحا نفسيا وتربويا، ويقدر أوضاع تلامذته ودوافعهم.

البعد المعرفي الأكاديمي

نقصد به الكفايات المعرفية اللازمة لتمكين المدرس من ممارسة الفعل التربوي بفعالية، وفق خطوات المنهج العلمي، فوضوح المناهج وسلاستها ركن أساسي في ممارسة العملية التعليمية وتنفيذها، ذلك أن الإدراك السليم للمناهج يقود إلى ممارسات سليمة وتطبيقات صحيحة في الميدان التربوي، حتى يتمكن المدرس من تطويع المناهج وفقا لحاجات ومطالب المتعلمين، وفق ما يناسب خصائصهم، وتحقق هذا الهدف من شأنه أن يخلق دافعية الفعل التربوي لكل من المدرس والتلميذ.

إن وضوح المناهج وسلاستها ركن أساسي للنجاح في ممارسة العملية التعليمية وتنفيذها، ذلك أن الإدراك السليم للمناهج يقود إلى ممارسات سليمة وتطبيقات صحيحة في الميدان التربوي، حتى يتمكن المدرس من تطويع المناهج وفقا لحاجيات ومطالب الأفراد النامية، ووفق ما يناسب خصائص المتعلمين وحاجاتهم، وإن تحقق هذا الوضوح والإدراك من شأنهما خلق دافعية التعلم لكل من المدرس والمتعلم.

البعد التربوي

يقترن هذا البعد بمدى قدرة المدرس على استخدام المفاهيم في التدريس بسهولة ويسر وإتقان لتحقيق الفعل التربوي ولا يمكن الحديث عن البعد التربوي دون استحضار الكفايات الأدائية التالية:

الكفايات السابقة للتدريس، كفايات التدريس، كفايات تقويم نتائج التدريس. فالمدرس الفعال يأخذ في اعتباره كفاءات التلميذ كنقاط انطلاق لتخطيطه وصنع قراراته اللحظية -الكفاءات الموجودة – بما في ذلك مهارات اللغة والقراءة والاستماع والقدرة على التغلب على التعقيد. ونقول من منطلق التجربة إن تدريب التلاميذ على استخدام تجاربهم الخاصة ومعارفهم كأساس لتطوير سياق استراتيجي مترابط ليتمكنوا من تطويره لاحقا ويخرجوا بتعميم للاستراتيجيات المتعلمة، قيمة تساعد على تعزيز الفهم، فالتدريس ليس عملية نقل المعلومات من المدرس إلى التلميذ، لتزايد حجم المعرفة بسرعة هائلة يصعب على أي مدرس مهما كانت قدراته أن يلم به ويستوعبه، بالرغم ما استحدثته تكنولوجيا العصر من وسائل وتقنيات تتيح للمدرس فرصا تعليمية قد تكون أكثر عمقا و تنوعا من تلك التي تتيحها له المدرسة، بقدر ما أن التدريس عملية اتصال اجتماعي بحيث لا يكون فيها المدرس مشغلا (Operateur) مسهلا Facilitateur أو منظما organier، ومن هذا المنطلق يصبح التفاعل بين أعضاء الموقف الاتصالي (المدرس و التلاميذ) شرطا أساسيا لحدوث التعلم أو اكتساب الجديد من الخبرات.

وبما أن المدرس عضو في عملية الاتصال الاجتماعي فإنه يؤثر في تلاميذه ويتأثر بهم، ولا يمكن أن يكون التأثير أو التأثر تربويا، ومربيا إلا إذا كان أساسه الاحترام المتبادل وغير المشروط؛ ومن هنا يؤكد التربويون على الجوانب الإنسانية في التدريس لتصبح طريقة التدريس ووسيلته في نفس درجة أهمية "مادة التدريس" إن لم تكن أكثر منها أهمية.

وما يقوم به المدرس لمساعدة تلاميذه على التعلم يمكن تحليله تحليلا منتظما، وبالتالي يمكن تقويم أنشطة التدريس والتحكم فيها ثم التدريب عليها، ويلغي هذا المبدأ ما كان شائعا في أذهان الناس من أن التدريس "موهبة" و"ملكة" وأن المدرس "يولد" ولا «يصنع".

خلاصة

إنه كلما كانت روابط التواصل متينة وديمقراطية، زادت كفايات التدريس المعتمدة من طرف المدرس لتنويع الوضعيات التعليمية التي تحفز التلميذ على التعلم الذاتي، والتواصل مهارة ضرورية، تمكن المدرس من

توجيه جماعة الفصل آخذا بعين الاعتبار الفروق الموجودة بين التلاميذ التي لابد أن تظهر من خلال التقويم التشخيصي الذي يحدد حاجيات التلاميذ، وتهيئ الوضعيات المناسبة لها؛ فإجراء إحصاء دقيق لنقط الضعف و القوة عند المتعلم يستوجب اتصالا مباشرا وتواصلا دائمين بين المدرس والتلميذ، هذا التواصل الذي من شأنه أن يجعل عملية التقويم سهلة المنال وموضحة لمختلف الصعوبات التي تعترض تعلم المتعلم وتكوينه، إذ لا يمكن للمدرس أن يغير طريقة تدريسه وينوع تدخلاته إذا لم تتوفر لديه معطيات، "فبالرغم من اختلاف طرق المدرسين والمدرسات، وأساليبهم في التدريس والتقويم، فإنهم بحاجة إلى معطيات من صنفين أساسيين على أن يتم ذلك بشكل مستمر؛ معطيات حول أنواع الصعوبات، وأشكال النقص في التحصيل التي يشكو منها كل تلميذ وتلميذة. وتكون الحاجة إلى هذه المعطيات ملحة بقدر ما يكون عدد المتعلمين في القسم الدراسي الواحد مرتفعا، ومعطيات حول أسباب الصعوبات وسوء التحصيل لبناء استراتيجية ملائمة لتدارك النقص المذكور وتجاوز الصعوبات الملموسة "22 لتحقيق تواصل إيجابي بين المدرس وتلاميذه.

قائمة المراجع

[1]- إبراهيم عمري، التواصل واستراتيجيات التعلم: حالة تدوين الأفكار، مجلة علوم التربية العدد الثاني والثلاثون أكتوبر 2006،

[2]- إدريس بومنيش :مقال مبادئ من أجل ديداكتيك سيكولوجية مجلة ديداكتيكا، العدد الثالث، 2006،

[3]- بنعيسى زغبوش ، السيرورات المعرفية واستراتيجيات التعلم نموذج المقاربة التربوية الاستراتيجية للتكرار الذهني لدى الطفل 2005

[4]- جاكبسون، مونان، ميبكي هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، ترجمة عز الدين الخطابي وزهور حوتي، منشورات علوم التربية، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2007

[5]- حمد الله أجبارة، التواصل البيداغوجي الصفي ديناميته: أسسه ومعوقاته، منشورات علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009

[6]- العربي السليماني، ورشيد الخديمي، قضايا تربوية منشورات عالم التربية الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، 2005

[7]- فيليب جونير، الكفايات والسوسيوبنائية إطار نظري، ترجمة الحسين سحبان مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى، 2005

[8]- محمد الدريج، مدخل إلى علم التدريس، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2003

[9]- محمد علي السيد: الوسائل التعليمية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طرابلس 1979.

[10]- محمد محمد عطية، وسائل الاتصال في الخدمة الاجتماعية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طرابلس1979

[11]- محمد عزيز لحبابي، من الكائن إلى الشخص، دراسات في الشخصانية

[12]- Boudon Raymond, L'idéologie ou l'origine des idées reçues, Editions du seuil, Points essais, Paris, 1992 [1986]

[13]- Charles cooley :social organisation cité in J.lohisse :lacommunication anonyme Ed :universitaire 1969.

[14]- Edgar Dale, Audio Visual Methode in Teatching , The Dryden , press Holt Rine ; Hort and Winston INC.Y.N1969

[15]- Serge Gaudé. De la représentation l'exemple du psychodrame Editionerés, Ramon ville saint, Agone.1998

[16]- Georgette Goupil et Guy Lusignan, Apprentissage et Enseignement en milieu scolaire

---

[1]جميل حمداوي، التواصل اللفظي وغير اللفظي في المجال البيداغوجي والديداكتيكي مقاربة نفسية وتربوية، منشورات علوم التربية، الرباط، 2008 ص:52-53.

[2]- جاكبسون،مونان، ميبكي هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، ترجمة عز الدين الخطابي وزهور حوتي، منشورات علوم التربية، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007 ص:08.

[3] -Charles cooley :social organisation cité in J.lohisse la communication anonyme Ed :universitaire 1969

[4]- جميل حمداوي، التواصل اللفظي وغير اللفظي في المجال البيداغوجي والديداكتيكي اللغة والتواصل التربوي والثقافي مقاربة نفسية وتربوية، ص:52

[5]-فتح الباب عبد الحليم، إبراهيم حفظ الله وسائل التعليم والإعلام عالم الكتب، القاهرة، 1985 ص16.

[6]- محمد عزيز لحبابي، من الكائن إلى الشخص، دراسات في الشخصانية الواقعية، دار المعارف السلسلة، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة الأولى 1962 ص53.

[7] - Boudon Raymond, L'idéologie ou l'origine des idées reçues, Editions du seuil, Points essais, Paris, 1992 [1986], p 325.

[8] العربي السليماني، ورشيد الخديمي، قضايا تربوية منشورات عالم التربية الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، 2005 ص 40.

[9]-Serge Gaudé. De la représentation l'exemple du psychodrame .Editionerés, Ramon ville saint, Agone.1998.p :10

10إبراهيم عمري التواصل واستراتيجيات التعلم: حالة تدوين الأفكار، مجلة علوم التربية العدد الثاني والثلاثون أكتوبر 2006، ص56.

[11]بنعيسى زغبوش، السيرورات المعرفية واستراتيجيات التعلم نموذج المقاربة التربوية الاستراتيجية للتكرار الذهني لدى الطفل 2005 ص 97

[12] Georgette Goupil et Guy Lusignan, Apprentissage et Enseignement en milieu scolaire Gaetano, Morin éditeur 1993;p.92- 93

[13]حمد الله أجبارة، التواصل البيداغوجي الصفي ديناميته: أسسه ومعوقاته، منشورات علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009 ص42 بتصرف.

[14] - إدريس بومنيش: مقال مبادئ من أجل ديداكتيك سيكولوجية مجلة ديداكتيكا، العدد الثالث، 2006، ص123 .

[15] حمد الله أجبارة "التواصل البيداغوجي الصفي ديناميته، أسسه ومعوقاته"، ص44.

[16] المرجع نفسه ص49 بتصرف.

[17] حمد الله أجبارة "التواصل البيداغوجي الصفي ديناميته، أسسه

والعلوم، طرابلس 1979. ص:50 بتصرف.

[21]محمد محمد عطية، وسائل الاتصال في الخدمة الاجتماعية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طرابلس1979 ص86

[22]فيليب جونير، الكفايات والسوسيوبنائية إطار نظري، ترجمة الحسين سحبان مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى، 2005 ص100.

ومعوقاته"، مرجع سابق، ص49.

[18]محمد الدريج، مدخل إلى علم التدريس، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2003 ص:199.

[1919] EDGAR DALE, AUDIO VISUAL methode in teatching , The Dryden , press Holt Rine ; Hort and Winston INC.Y.N 1969.P : 7

[20] محمد علي السيد: الوسائل التعليمية، المنظمة العربية للتربية والثقافة